القَيْم الدعوية والتربوية المستفادة من قصة نبي الله نوح ﷺ في ضوء القرآن الكريم

تقديم

د. راشد سعد العليمي

(كلية التربية الأساسية–

الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب)

دولة الكويت

من ٢٥٥٧ إلى ٢٥٩٨

ملخص البحث:

تتركز هذه الدراسة على واحدة من الموضوعات التربوية والدعوية في قصص القرآن الكريم وهي دراسة دعوية لقصة نوح عليه السلام، وما تحويه هذه القصة من مواقف تربوية تظهر من خلال مواقف متنوعة، اتسمت بزوايا تربوية عديدة، ستتيح للباحث التربوي استخراج العديد من اللفتات التربوية النافعة، لتكون أساسا لعلوم إنسانية كثيرة.

ومن منطلق خدمة الكتاب العظيم، جمعت في بحثي هذا بعضاً من الآيات التي تتحدث عن قصة دعوة نبي الله نوح عليه السلام، وتناولتها من جانب المنهج الدعوي والتربوي الذي اتبعه نبي الله نوح عليه السلام في دعوته.

فالقصة في القرآن الكريم ليست عملاً ممتعا بالاستماع فحسب، وإنما يقف الغرض الدعوي جنباً إلى جنب مع الغرض القصصي والأدبي، لذلك فإنه لا بد من وقفات دعوية لتحليل الأحداث، واستخراج العبر لمعرفة أهم الإشارات والأمور التي أوردتها قصص القرآن.

فقمت باستخلاص القيم الدعوية التي استخدمها نبي الله نوح عليه السلام في دعوته، عن طريق تحليل المواقف والأحداث بالرجوع إلى أقوال علماء التفسير، وإسقاط ذلك على واقعنا المعاصر.واستخلاص القيم التربوية من القصة عن طريق تحليل المواقف والأحداث بالرجوع إلى أقوال علماء التفسير، وإسقاط ذلك على واقعنا المعاصر.

Advocacy and educational values Learned from the story of Prophet Allah Noah In the light of the Holy Quran

Introducing
Dr Rashid Saad Al-alimi
College of basic education. The public authority for applied education and training State of Kuwait

Search summary:

This study concentrated on one of the topics of educational, advocacy in Quran stories which contais the story of Noah, peace be upon him, what's in this story of educational situations show through various positions, characterized by numerous educational angles, educational researcher will extract several educational gestures Useful as a basis for many humanitarian Sciences.

In the great book service, gathered in my research that some of the verses that talk about the story of Prophet Noah peace be upon Allah's invitation, and covered by the lawsuit and educational curriculum followed by the Prophet of Allah Noah, peace be upon him in his invitation.

The story in the Qur'an is not a fun job to listen, but standing purpose proceeding along with literary narrative purpose, so it must be what care to analyze events, extract lessons to learn the most important signals and things made by qisas.

Then you draw advocacy values used by the Prophet of Allah Noah, peace be upon him in his invitation, by analyzing the attitudes and events refer to sayings of scholars of explanation, and drop it on the contemporary reality and draw out the educational values of the story by analyzing the attitudes and events refer to sayings of scholars Interpretation, and drop it on the contemporary reality.

Kay ward: Advocacy, educational, Prophet Allah Noah, Holy Quran

Email: Rashed.Alaelimy@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد:

فإن الدعوة إلى الله سبحانه تعدّ من أجلّ الأعمال وأشرفها في حياة المسلم، قال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾[1]؛ وخير من قام بهذا الأمر الأنبياء والمرسلون عليهم السلام، حينما بلغوا رسالات ربهم للناس بأحسن بيان، وأمروهم بالمعروف، ونهوهم عن المنكر وفق خير بلاغ، على منهج الله ووفق أوامره ونواهيه.

ومن منطلق خدمة الكتاب العظيم، جمعت في بحثي هذا بعضاً من الآيات التي تتحدث عن قصة دعوة نبي الله نوح عليه السلام، وتناولتها من جانب المنهج الدعوي والتربوي الذي اتبعه نبي الله نوح عليه السلام في دعوته.

فالقصة في القرآن الكريم ليست عملاً ممتعا بالاستماع فحسب، وإنما يقف الغرض الدعوي جنباً إلى جنب مع الغرض القصصي والأدبي، لذلك فإنه لا بد من وقفات دعوية لتحليل الأحداث، واستخراج العبر لمعرفة أهم الإشارات والأمور التي أوردتها قصص القرآن.

أهمية الدراسة :

١. لعل هذه الدراسة الموجزة وأمثالها تكون انطلاقة لدى المتخصصين التربويين الذين يودون أن تقوم دراساتهم المستقبلية من القرآن الكريم.
٢. الدراسة الدعوية لقصة نوح عليه السلام، وما تحويه هذه القصة من مواقف تربوية تظهر من خلال مواقف متنوعة، اتسمت بزوايا تربوية عديدة، ستتيح للباحث التربوي استخراج العديد من اللفتات التربوية النافعة، لتكون أساسا لعلوم إنسانية كثيرة.

أهداف البحث:

---

[1] سورة فصلت: ٣٣

١ – استخلاص القيم الدعوية التي استخدمها نبي الله نوح ﷺ في دعوته، عن طريق تحليل المواقف والأحداث بالرجوع إلى أقوال علماء التفسير، وإسقاط ذلك على واقعنا المعاصر.

٢ – استخلاص القيم التربوية من القصة عن طريق تحليل المواقف والأحداث بالرجوع إلى أقوال علماء التفسير، وإسقاط ذلك على واقعنا المعاصر.

خطة البحث:

وقد قُسّمت البحث إلى مقدمة وتمهيد ومبحثين، وخاتمة وفهارس.

أما المقدمة فقد اشتملت على: أهمية البحث وبيان خطته.

التمهيد: فتضمن لتعاريف لمصطلحات واردة في البحث، وشمل ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم كلمة قيم.

المطلب الثاني: مفهوم كلمة تربية.

المطلب الثالث: مفهوم القصص القرآني.

المبحث الأول: القيم الدعوية من خلال قصة نبي الله نوح عليه السلام

ويتكون من ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الدعوة إلى التوحيد

المطلب الثاني: الاستمرار في الدعوة وعدم اليأس

المطلب الثالث: أهمية الحوار

المبحث الثاني: القيم التربوية من خلال قصة نوح عليه السلام

ويشتمل على توطئة، وثلاثة مطالب:

المطلب الأول: القيم التربوية الروحية

المطلب الثاني: القيم التربوية الأخلاقية

المطلب الثالث: القيم التربوية الدينية

ثم أهم التوصيات والخاتمة

والله اسأل أن يجعل في هذا العمل الوجيز الفائدة والنفع العميم.

التمهيد: تعريف مصطلحات البحث

ويتكون من ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم كلمة (قيم).

المطلب الثاني: مفهوم كلمة (دعوة).

المطلب الثالث: مفهوم كلمة (تربية).

المطلب الرابع: مفهوم القصص القرآني.

التمهيد: تعريف مصطلحات البحث

المطلب الأول: مفهوم كلمة (القيم)

الفرع الأول: (القيم) في اللغة

مصطلح (القيم) في اللغة ج٨معٌ لكلمة (قيمة)، وأصلها الواو، لأنها من مادة (ق و م)، التي تدل على الانتصاب أو العزم، يقول ابن منظور: "والقيمة: واحدة القيم، وأصله الواو لأنه يقوم مقام الشيء. والقيمة: ثمن الشيء بالتقويم. تقول: تقاوموه فيما بينهم، وإذا انقاد الشيء واستمرت طريقته فقد استقام لوجه والقيمة ثمن الشيء بالتقويم، و(سمي الثمن قيمة) لأنه يقوم مقام الشيء يقال: كم قامت ناقتك.[١]

ولعل أقرب الاستعمالات اللغوية إلى القيم بمعناها السائد الآن هو ما ذكره صاحب القاموس من قولهم: "فلان ما له قيمة: إذا لم يدم على شيء».[٢]

وأقربها لمقصود البحث هو الثبات والدوام والاستمرار على الشيء.

يمكن القول بأن مادة القيم في اللغة تدور على معاني: الاعتدال والاستقامة والمواظبة والملازمة والثبات على الشيء، وعدم الميل عن الحق، والبعد عن الزيغ، والقيمة مصدر بمعنى الاستقامة، قال تعالى:{وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ}. [٣]

الفرع الثاني: مفهوم (القيم) في الإسلام

حينما ننظر إلى أحد التعاريف الواردة لمصطلح (القيم) هو: أن القيم: «محطات ومقاييس، نحكم بها على الأفكار، والأشخاص، والأشياء، والأعمال، والموضوعات، والمواقف الفردية والجماعية، من حيث حسنها وقيمتها والرغبة

---

[١] ابن منظور، لسان العرب، فصل القاف، ج:١٢، ص:٥٠٠.

[٢] الفيروزآبادى، القاموس المحيط، بيروت، ص:١٤٨٧.

[٣] البينة: ٥.

بها، أو من حيث سوئها وعدم قيمتها وكراهيتها، أو من منزلة معينة ما بين هذين الحدين» .[١]

ويمكن القول بان القيم في الإسلام هي قيمة الأفعال والسلوك الراشد السوي، الذي يبتغي غاية من سلوكه، أي أن القيمة تستعمل في وصف الخصال الحميدة والأفعال النبيلة، وما تؤدي إليه هذه الخصال من المنافع التي تصلح لتربية الفرد والجماعة، صلاحاً تتحقق به سعادة الدنيا والآخرة، والقيم ليست من وضع البشر، بل هي مثالية عامة يرجع إليها كل سلوك بشري مهما كان مجاله وميدانه، ولذلك فهناك تعريفات احتوتها الدراسات الخاصة بالقيم يمكن الرجوع إليها في مظانها.[٢]

المطلب الثاني: ما يتعلق بمصطلح (دعوة).

أولاً: الدعوة لغةً:

مشتقة من الفعل الثلاثي دعا يدعو دعوة، والاسم: الدعوة، والقائم بها يسمى داعية، والجمع: دعاة. ولكلمة الدعوة في اللغة عدة معان: منها النداء، والطلب، والتجمع، والدعاء، والسؤال، والاستمالة، قال الزمخشري: دعوت فلاناً وبفلان ناديته وصحت به. [٣]

وقال الرازي: و الدَّعوة إلى الطعام بالفتح، يقال: كنا في دعوة فلان ومدعاة فلان، وهو مصدر، والمراد بهما: الدعاء إلى الطعام.

---

[١] ماجد الكيلاني، فلسفة التربية الإسلامية، ص: ٢٩٩.

[٢] مقداد يلجن، الاتجاه الأخلاقي في الإسلام، ص: ٣١٣، وعصام الدين علي هلال، التعليم وقيم التنمية، ط٤، ص: ٢٦، وفوزية دياب، القيم والعادات الاجتماعية، (ط دار الكتاب العربي ١٩٦٦)، ص:١٩، ومحمد شديد، قيم الحياة في القرآن، (ط دار الشعب)، ص: ٦٣، وغيرهم

[٣] – أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري، ١/ ١٨٩، ط ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م، دار الفكر.

وقال ابن منظور: الدعوة: المرة الواحدة من الدعاء، ومنه الحديث: "فإن دعوتهم تحيط من ورائهم"[١]، أي تحوطهم وتكنفهم وتحفظهم يريد أهل السنة دون البدعة. والدعاء: واحد الأدعية، وأصله دعاو لأنه من دعوت، إلا أن الواو لما جاءت بعد الألف همزت... ودعا الرجل دعوا ودعاء: ناداه، والاسم: الدعوة. و دعوت فلاناً أي صحت به واستدعيته...

والدعاة: قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة، وأحدهم داع. ورجل داعية إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين، أدخلت الهاء فيه للمبالغة.[٢]

وقال الزبيدي: (الدّعاءُ)، بالضّمّ مَمدوداً؛ (الرَّغبَةُ إلى اللّهِ تعالى) فيما عندَه من الخيرِ والابْتهال إليه بالسّؤَالِ؛ ومنه قوْله تعالى: ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥]. و (دعا) يَدْعو (دعاءً ودَعوَى)؛ وأَلِفها للتَّأْنيثِ.

ثانياً: الدعوة اصطلاحاً:

كلمة الدعوة من الألفاظ المشتركة، فإنه يراد بها في الغالب معنيان:

الأول: الدعوة بمعنى الإسلام، أو الرسالة.

الثاني: الدعوة بمعنى عملية نشر الإسلام وتبليغ الرسالة.

وعلى المعنى الأول: (الدعوة بمعنى الإسلام أو الرسالة) جاءت تعريفات اصطلاحية كثيرة، ومنها:

---

[١] – المستدرك على الصحيحين، الحاكم، وقال حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ١/ ١٦٢

[٢] – لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، ١٤/ ٢٥٨–٢٥٩، ط١، دار صادر، بيروت.

قيل: هي دين الله الذي بعث به الأنبياء – عليهم الصلاة و السلام – جميعاً، تجدد على يد محمد ﷺ خاتم النبيين، كاملاً وافياً لصلاح الدنيا والآخرة.

وقيل: هي الضوابط الكاملة للسلوك الإنساني، وتقرير الحقوق والواجبات.

وقيل: هي نداء الحق للخلق؛ ليوحدوا المعبود، ويعبدوا الواحد، حنفاء لله غير مشركين به، متبعين غير مبتدعين.[١]

وأما على المعنى الثاني: (الدعوة بمعنى عملية نشر وتبليغ الإسلام) فجاءت أيضاً على تعريفات كثيرة، ومنها:

وعرَّفها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى بقوله الدعوة إلى الله: هي الدعوة إلى الإيمان به وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا به وطاعتهم فيما أمروا وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت والدعوة إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والإيمان بالقدر خيره وشره والدعوة إلى أن يعبد العبد ربه كأنه يراه. [٢]

المطلب الثالث: ما يتعلق بمصطلح (تربية)

الفرع الأول: معنى كلمة (التربية) لغة:

بالعودة إلى المعاجم اللغوية العربية (لسان العرب، والمعجم الوسيط، والقاموس المحيط، الصحاح، والمورد) نخلص إلى أن مفهوم التربية محمَّل

---

[١] – التخطيط للدعوة الإسلامية وأهميته، عبد رب النبي علي أبو السعود، ص: ١٩، ط١، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، دار التوفيق النموذجية للطباعة، القاهرة.

[٢] – مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، أبو العباس أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ١٥/ ١٥٧–١٥٨، ط٢، مكتبة ابن تيمية.

بالكثير من الدلالات وهى: الزيادة والنماء، والرعاية، والثقافة، والإصلاح، والسياسة والسيادة، والتدبير لأمور الخلق، والتنمية والاجتماع.

كلمة التربية أصلها في اللغة من فعل: (ربو أو ربى)،... ورَبَّيْته تَرْبِية، وتَرَبَّيْته أَي: غَذَوْتُه، وهَذا لكل ما يَنْمِي كالوَلَد والزَّرْع ونحوه[١]، ورَبَّاه تَرْبِيَةً: أَحسَنَ القِيامَ عليه، وَوَلِيَه حتى يُفارِقَ الطُّفُولِيَّةَ، كان ابْنَه، أَو لم يكن، ومنه كلمة الرّبّ، والمُدَبِّر، والمُرَبِّي، والقَيِّم، والمُنْعِم.[٢]

الفرع الثاني: مفهوم (التربية) في الاصطلاح التربوي:

تعددت الاتجاهات واختلفت المدارس العلمية في تحديد مفهوم التربية، ويمكن القول بأنها: الجهد الذي يقوم به آباء شعب ومربوه لإنشاء الأجيال القادمة على أساس نظرية الحياة التي يؤمنون بها.[٣]

وهذه المعاني تقودنا بأن ننظر إلى (التربية) وما تحتويه من جوانب تربوية رائعة، ومن ذلك:

- أنها: تعني الرعاية والعناية في مراحل العمر الأدنى، سواء كانت هذه العناية موجهة إلى الجانب الجسمي أو موجهة إلى الجانب الخُلقي".[٤]
- وتعني الزيادة والنماء بأنواع المعرفة، لتكون سبيلا لتغذية العقل، ووصولا للتزكية والسمو.
- وأنها: الإصلاح والتهذيب، ببذل الجهود الكبيرة لتحقيق الإصلاح.[١].[٢]

---

[١] ابن منظور، لسان العرب، مادة: ربا، ج٥، ص:١٢٨.

[٢] ابن منظور، لسان العرب، مادة: ربب، ج:٥، ص:٩٥.

[٣] محمد علي كامل، الآباء ومشاكل الأبناء في الميزان السيكولوجي بين الفهم والمواجهة، دائرة المعارف البريطانية، (القاهرة: مكتبة ابن سينا، ٢٠٠٦م)، ط١، ص:١٧.

[٤] محمد حسين أحمد، الأهداف التربوية للعبادات في الإسلام، رسالة لنيل درجة الدكتوراه في التربية، (كلية التربية، جامعة طنطا، قسم أول التربية)، غير منشورة، ص:١٤.

الفرع الثالث: تعريف مفهوم (التربية) في الاصطلاح الشرعي

وردت اصطلاحات عديدة في مفهوم التربية لعل من أكثرها شيوعا: رياضة الصبيان، والتأديب، والتعليم، وعبر عنها الدكتور باسم قاسم الغبان هي الجهد المقصود الذي يسعى فيه المجتمع من خلال وكالاته المتعددة إلى إيجاد السلوك الإيجابي الجديد لدى الجيل، أو تعديل سلوك قائم يقتضي تعديله، وبذلك يناط بالتربية مهمة خطيرة من نتائجها الحفاظ على الهوية.[٣]

ويتميز مفهوم التربية الإسلامية في الإسلام عن غيره من مفاهيم التربية بما يلي:

١- أنها تستمد أهدافها ومناهجها وأساليبها ووسائلها من مصادر الشريعة الإسلامية.

٢- أنها تربي الإنسان لهذه الحياة الدنيا، وعدم الغفلة عن تربيته للدنيا والآخرة.

٣- أن التربية الإسلامية تركز على تكامل الجانبين المادي والروحي في الإنسان.

الفرع الرابع: ارتباط القيم بالتربية.

مما سبق بيانه من تعريفات متعلقة بالتربية والقيم، يمكن ملاحظة أن القيم تشكل عنصراً حيويا في بناء العملية التربوية، فإن التربية في مجملها

---

[١] بديوي يوسف وقاروط محمد محمد، تربية الأطفال في ضوء القرآن والسنة، (دمشق، دار المكتبي، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م)، ط٢، ص:١، ١٤.

[٢] وهناك تعريفات كثيرة للتربية باختلاف نظرة المربين، انظر: ناصر إبراهيم، مقدمة في التربية، (عمان: ١٩٧٨م)، ص:١١، وللتوسع في هذا الموضوع يراجع كتاب: عزت جرادات وزميليه، مدخل إلى التربية، (عمان: ١٩٨٣م)، ط١.

[٣] د. .باسم قاسم الغبان، الفكر التربوي العربي بين العودة للماضي وارتهان الحاضر، (مجلة النبأ عدد ٧٧ لسنة ٢٠٠٤م).

تدور حول عملية أساسية، وهي تشكيل الشخصية السوية المتضافرة في جوانبها الروحية والعقلية والوجدانية والخلقية والاجتماعية، وهذا يتم من خلال إكساب هذه الشخصية عددا من القيم الأساسية الوظيفية التي تضفي عليها صلاحها الأخلاقي، ومن هذه القيم حب التقوى واحترام الذات والصدق والصبر والعفة، وهذه القيم يسعى الإنسان إليها في كل زمان ومكان، والقيم في الوقت نفسه قيد وضابط وقاعدة تنظم التعامل والتواصل بين الناس، وهي وسيلة تربوية وثقافية أساسية.[١]

المطلب الثالث: تعريف مفهوم (القصص القرآني)

الناظر في غالب سور القرآن يجد فيهم جملة من الخصائص التي تميزه عن غيره، أهمها: وجود قصة وعبرة، أو إشارة إليهما، فقصص القرآن كثيرة ومتنوعة ومن أهمها قصص الأنبياء عليهم السلام، وهم أفضل خلق الله وأتقاهم وأنقاهم، وأعلم الناس به سبحانه، وهم النموذج الكامل للبشرية؛ فهم أهل للقدوة، وفيهم تصلح الأسوة، حياتهم ضياء ونور لمن وفقه الله للسداد.

الفرع الأول: تعريف معنى القصص

القِصّة في اللغة: هي الخبر، وهو القَصَص، وقصّ عليّ خبره يقصّه قَصّاً وقَصَصاً: أورده، وهو: الخبر المقصوص.[٢] ويمكن القول بأن مصطلح (قصة) هو الخبر المتتابع بعضه بعد بعض في بيان حدثا ما.

ويمكن القول بأن تعريف (القصة القرآنية) لا يخرج عما سبق في التعريف اللغوي، لكنه يتميز بالأسلوب والخصائص وأهميتها لنا في حياتنا اليومية والتعبدية.[١]

---

[١] فلسفة القيم التربوية (ص:١١٩) ، الدكتور عبد الكريم علي اليماني، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى.

[٢] ابن منظور، لسان العرب، مادة: قصص، ج:١١، ص:١٩١.

والقصص القرآنية يتميز بصفتين أساسيتين هما[٢]:

الأولى: أنها أحسن القصص، قال الله تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ...﴾ (يوسف: ٣).

الثانية: أنها القصص الحق: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ (آل عمران: ٦٢)

الفرع الثاني: أهداف القصص القرآني:

المتتبع لقصص القرآن يجد فيها أهدافاً كثيرة لا تقع تحت الحصر، فقد حققت القصص أهدافاً عامة تتحقق في كل قصة من قصص القرآن، كما اشتملت على أهداف خاصة، لها مناسباتها المختلفة، ومن تلك الأهداف العامة للقصص[٣]:

١. التفكر: قال تعالى: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الأعراف: ١٧٦).

٢. أخذ العبرة: قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (يوسف: ١١١).

٣. تثبت قلب الرسول ﷺ والمؤمنين على المضِيّ في طريقهم، قال تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾. (هود: ١٢٠) قال الإمام ابن الجوزي: "المعنى: كل الذي تحتاج إليه من أنباء الرسل نقص

---

[١] – صحيح القصص القرآني، للدكتور عمر الأشقر، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن (٢٠١٠)

[٢] صلاح الخالدي، القصص القرآني–عرض وقائع وتحليل أحداث، (دمشق: دار القلم، ١٩٩٨م)، ط١، ج:١، ص:٢٩–٣١.

[٣] صلاح الخالدي، القصص القرآني–عرض وقائع وتحليل أحداث، (دمشق: دار القلم، ١٩٩٨م)، ط١، ج:١، ص:٣٢ – ٣٦.

عليك.... ومعنى تثبيت الفؤاد: تسكين القلب ها هنا، ليس للشك، ولكن كلما كان البرهان والدلالة أكثر، كان القلب أثبت".[١]

٤. إثبات الوحي والرسالة: قال سبحانه: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (القصص:٤٤). فالأخبار الماضية لم تكن لتصل للنبي ﷺ وهو الرجل الأمي، لكنها جميعها من وحي الله تعالى له، بما قصه عليه في الكتاب المجيد.

٥. إثبات وحدة الدين: فالدين عند الله الإسلام، وهو الاستسلام والعبودية لله تعالى، قال تعالى على لسان كل من: نوح، وهود، وصالح، وشعيب: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ (الأعراف: ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥).

٦. حسن القدوة بصفوة الخلق: فالدعاة المخلصون يتخذون من سيرة أنبيائهم نبراساً يستضيئون به ويهتدون بهديهم، قال تعالى:{أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ}. (الأنعام: ٩٠)

الفرع الثالث: علاقةُ القَصصِ بالتربيةِ:

يُعتبر سرد القصص من أساليب تكوين الشخصية السوية ذات التربية الناجحة؛ ذلك لما تحويه القصص من حوافز للتقليد، وسبل للتعليم، ونعلم بأن التقليد أساس من أسس التربية الصحيحة، كما أن الموعظة الحسنة التي يقوم عليها القصص النافع الجاد هي أساس آخر، ففي القصص التوجيه، وفيها التنبيه، وفيها الإرشاد، ويتعلم منها الناس مجموعة من الأخلاق الفاضلة والخلال الحميدة، والإنسان الذي يُربى على القصص النافع يزداد رفعة وسموا، وتقوى وصلاحا، كما تزيده القصص فطنة وذكاءً.

---

[١] أبو الفرج بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٢٢هـ)، ط١، ج:٢، ص:٤٠٩.

ويظهر هذا الهدف جلياً في قصص القرآن الكثيرة، ومن تلك الأمثلة التربوية من القصص ما يأتي ما ورد في قصة نبي الله نوح ﷺ، حيث تعلمنا من سلوك هذا النبي الكريم ﷺ كيف يكون التعامل الكريم بما وصل إليه من درجة رفيعة في دماثة أخلاقه وصبره، مع قومه عامة، وكذا مع ابنه خاصة، وفي قصته العبرة البالغة، والعظة الكبيرة، حيث قال الله تعالى في ختام قصته في سورة هود: {تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ (٤٩)}، وفي ذلك إشارة إلى ما تحمل قصة ها النبي في طياتها من حكم وعبر ومواقف مؤثرة.

المبحث الأول

القيم الدعوية
من خلال قصة نبي الله نوح عليه السلام

ويتكون من ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الدعوة إلى التوحيد

المطلب الثاني: الاستمرار في الدعوة وعدم اليأس

المطلب الثالث: أهمية الحوار

تمهيد

عاشت الأرض آلاف الأعوام وأهلها في عبودية لله تعالى، ثم بدأت تظهر بعض الشرور بها، وتراكمت بها قليلا قليلاً، ولا مصلح أو داعي للحق يأخذ بزمام الأمر، فلما ظهر فيها الشرور، ووصلت إلى ذروتها بالشرك بالله، بعث الله نبيا ليصلح أحوال الناس.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «صَارَتِ الأَوْثَانُ الَّتِي كَانَتْ فِي قَوْمِ نُوحٍ فِي العَرَبِ بَعْدُ، أَمَّا وَدٌّ كَانَتْ لِكَلْبٍ بِدَوْمَةِ الجَنْدَلِ، وَأَمَّا سُوَاعٌ كَانَتْ لِهُذَيْلٍ، وَأَمَّا يَغُوثُ فَكَانَتْ لِمُرَادٍ، ثُمَّ لِبَنِي غُطَيْفٍ بِالْجَوْفِ عِنْدَ سَبَإٍ، وَأَمَّا يَعُوقُ فَكَانَتْ لِهَمْدَانَ، وَأَمَّا نَسْرٌ فَكَانَتْ لِحِمْيَرَ لِآلِ ذِي الكَلاَعِ، أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ، أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ العِلْمُ عُبِدَتْ) (نوح: ٢٣)، ويشير رضي الله عنهما إلى الآية: {وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا}.(نوح:٢٣)، ثم بعث الله نوحا عليه السلام، واستمر في دعوة قومه سنوات قرون عديدة، وواجه نبي الله نوح ﷺ الكثير من الصعاب في سنين دعوته إلى الله سبحانه وتعالى.

المطلب الأول: الدعوة إلى التوحيد في قصة نوح

الدعوة للتوحيد[١] هو أسّ التربية وقوامها، ومنها تنطلق كل قاعدة وتوجيه بانطلاقة دعوية نافعة، ومن وجدناه يريد التربية الصحيحة بعيدا عن تحقيق

---

[١] التوحيد لغة: من وحد يوحد توحيداً، على وزن تفعيل، ومعناه نسبة الشيء إلى الوحدانية، ومعنى آخر: الحكم والعلم بأن الشيء واحد. ومن هذا يتبين أن معاني. التوحيد يدور حول الوحدة والانفراد والتفرد. انظر القزويني، معجم مقاييس اللغة، ج:٦ ، ص:٩٠.

التوحيد الصادق، فلن نجد معه لاحقاً إلا النظريات المتقلبة، التي لا تقدّم نافعا، ولا تداوي عليلا.

ولذا كان أول أمر بدأ به الرسل في دعوتهم لأقوامهم أنهم أمروهم بتوحيد العبادة لربهم الذي خلقهم ورزقهم وأنعم عليهم، قال تعالى:{يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ}. (النحل: ٢)

وهذا نوح عليه السلام يقول: {... يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} (الأعراف: ٥٩)، وغيره من الأنبياء، كلهم قالوا لقومهم هذه المقولة الواضحة، وغيرهم من الأنبياء والرسل، لأنه إذا صح التوحيد ونُقي من أدران الشرك، كان ذلك إيذاناً بغفران الذنوب وقبول العمل، والبدء بحسن التربية.

المطلب الثاني: سبل الدعوة إلى توحيد الله:

تنوع أسلوب نوح ﷺ في دعوة قومه إلى عبادة الله وحده، وذلك من خلال الطرق الآتية:

= الدعوة إلى التوحيد من خلال نبذ الشرك، قال تعالى: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} (الأعراف: ٥٩)

= دعوتهم إلى توحيد العبادة لله؛ بتذكيرهم بمعاني ربوبية الله فيهم: {أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا * وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا * وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ

التوحيد اصطلاحا:"هو إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته ذاتاً وصفاتا وأفعالاً والمعبود هو الله جل جلاله وحده. انظر لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، ج:١، ص:٥٧.

إِخْرَاجًا * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا * لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا} (نوح: ١٥-٢٠)

= دعوة قومِه بكل وضوح وهدوء: {قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ} (هود: ٢٨)

= بيان أن الأمر والفضل كله بيد الله تعالى، فقال الله تعالى عنه: {وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ} (هود: ٢٩)

ومع التعنت منهم والمكابرة على كلمة الحق، والتي كان يواجهها بصبر وحلم رجاء تبدّل الأحوال، وتغير المفاهيم، قال تعالى: {قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ * وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} (هود: ٣٢-٣٤)، إلا أنه عليه السلام رفض تهديداتهم، وكان مستمرا في دعوته.

المطلب الثالث: الاستمرار في الدعوة وعدم اليأس

من الأمور التي ينبغي التذكير بها عندما نتكلم عن قصص الأنبياء، أن الأمم التي أرسل إليها الرسل دأبوا على استخدام وسيلة الكذب مع رسلهم، إلصاق التهم والأوصاف الباطلة بهم، وتعاملوا معهم بكل سوء، ومن ذلك ما جرى بين قوم نوح ونبيهم:

- **فقالوا فيه أنه سفيه وضال: {قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ. قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ} (الأعراف: ٦١)**
- **وقالوا عنه مجنون: {إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ...} (المؤمنون: ٢٥)**
- **وقالوا عنه كذاب:{كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ}. (القمر: ٩)**
- **وهذا بالإضافة إلى السخرية منه:{وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ[1] كَمَا تَسْخَرُونَ} (هود: ٣٨)**
- **بل هددوه بالقتل، وقالوا: {قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ}. (الشعراء: ١١٦)**

فما كان منه عليه السلام إلا مواجهة هذه الاتهامات إلا بالصبر والحلم، وما فتر عن الاستمرار في الدعوة، ولهذا أمر الله نبيه نوح ﷺ بالصبر على قومه، والاستمرار في دعوتهم بلا يأس أو جزع، قال تعالى:{وَأُوحِيَ إِلى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ}. (هود: ٣٦)

---

[1] ذكر الإمام القرطبي بيان المقصود (بالسخرية) هنا، وقال:"وَالْمُرَادُ بِالسُّخْرِيَةِ هُنَا الِاسْتِجْهَالُ، ومعناه إن تستجهلونا فإنا نستجهلكم كما تستجهلونا". تفسير القرطبي- سورة هود

المطلب الرابع: أهمية الحوار

من المعلوم بداهة بأن الخلاف واقع بين الناس في مختلف الأعصار والأمصار، وهو سنَّة الله في خلقه، وكتاب الله العزيز يقرر هذا في غير ما آية؛ مثل قوله سبحانه: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ} (الروم: ١١٨-١١٩)، وهذا الاختلاف الظاهريّ له رابط وثيق على اختلافهم في الآراء والاتجاهات.

ونعلم بأن الحوار يعد مناقشة بين طرفين، أو أطراف عدة، يُقصد بها تصحيح رأي ما، وتوجيه فكر إلى قضية محددة، وإظهار حجَّةٍ على المخالف، وإثبات حقٍ للمتكلم، ودفع شبهةٍ عن المتشكك، وردُّ الفاسد من القول والرأي في الختام[١]، والغاية منه إقامةُ الحجة، ودفعُ الشبهة والفاسد من القول والرأي، ويقول الحافظ الذهبي: "إنما وضعت المناظرة لكشف الحقِّ، وإفادةِ العالِم الأذكى العلمَ لمن دونه، وتنبيهِ الأغفلَ الأضعفَ".[٢]

ومن الأساليب الحوارية التي نستفيدها من قصة نوح ﷺ مع قومه ما يأتي:

أولاً : المواجهة بالحجج الكلامية

حينما أوضح لنا ربنا سبحانه طول مُكث نبيه نوح ﷺ في قومه، فإنه يتبادر إلى أذهاننا أن هناك حواراً ونقاشا وجدالا كثيرا ومتكررا وقع بين نبي الله نوح ﷺ مع قومه، ونتلمس بأن هناك تنوعا في مجالات الحوار بين نوح ﷺ مع قومه.

---

[١] الشيخ صالح بن عبدالله بن حميد، أصول الحوار وآدابه في الإسلام (جدة: دار المنارة للنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ - ٢٠٠٩م) ، ط١، ص:٦.

[٢] محمد بن عبد الباقي بن شهاب الدين بن محمد الزرقاني، شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م)، ط١، ج٧، ص: ٤٧٠.

فنجد بأن نوحا عليه السلام لما واجهه قومه بالأذى، تحداهم أكبر التحدي، قال تعالى: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ} (يونس: ٧٣)

وحينما توجهوا بالنظر إلى هوان حاله بالنظر لحال من اتبعه من الضعفاء، أثاروا عليه الشبهات التي تدل على حسد فيهم، وقالوا: {فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ} (هود: ٢٧) فأجابهم بقول فصل حازم: {قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ} (هود: ٢٨)

وحتى لما كانت نظرتهم على حال من تبعه، رد عليهم بردٍ قاطع، فقال: {وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ} (هود: ٢٩)

ويفنّد نوح عليه السلام شبهات قومه وأباطيلهم عندما ترقبوا الوعيد من الله، فأجابهم بحوار رائع: {قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ * وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ}. (هود: ٣٣-٣٥.)

ثانيا : دعوة الابن الكافر للحق.

ذكر ربنا بأن ابن نوح عليه السلام لم يكن معه في طريق الحق، فقال تعالى: {وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ

الْكَافِرِينَ} (هود: ٤٢)، ويظهر لنا السياق القرآني محاولة الأب المشفق والمحب غريزة لابنه باستمرار محاولته له للنجاة، قال تعالى: {وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ * قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ}. (هود: ٤٢-٤٣) والداعية لله يستفيد من هذه المحاولة الأخيرة من نبي الله حرصه بدعوة ابنه حتى في اللحظات الأخيرة، ولا ييأس من الهداية لأحد مهما كان، لعل أن يكتب له الخير.

وترك نوح تلك المناشدة بعد تنبيه الله له، قال تعالى:{قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ}. (هود: ٤٦-٤٧)

المبحث الثاني
القيم التربوية من خلال قصة نوح عليه السلام

ويشتمل على توطئة وثلاثة مباحث:

المطلب الأول: القيم التربوية الروحية

المطلب الثاني: القيم التربوية الأخلاقية

المطلب الثالث: القيم التربوية الدينية

توطئة

لا يخفى على أي مربي أنه لكي يستطيع أن يُحدث تعديلاً أو تغييراً في شخصية فرد ما أو في سلوكه، فإن عليه أن يقوم بتعديل أفكاره واتجاهاته، أو تغييرها؛ فإن سلوك الإنسان يتأثر – بدرجة كبيرة – بأفكاره واتجاهاته، ولذا يُعد الإيمان بعقيدة التوحيد هي الخطوة الأولى لإحداث تغيير كبير في شخصية الإنسان، فالإيمان بالعقيدة يولّد في الإنسان قوة إيمانية هائلة تغير مفهومه عن ذاته، وعن الناس، والحياة، والكون بأكمله، ويمده بمعنى جديد للحياة ولرسالته فيها، ويبعث الشعور بالأمن والطمأنينة.[١]

المطلب الأول: القِيم التربوية الروحية

هذا الجانب يعد لبّ البحث وجوهره، إذ أن تعلّم هذه القِيم وتذكير النفس والآخرين بها تجلب الخيرات الوفيرة في الدنيا والآخرة، بما تتضمنه من جوانب رائعة لتتكون في النفس البشرية.

وتبرز لنا هذه القسم في قصة نوح عليه السلام من خلال الأمور الآتية:

أولا: سمو مكانة المطيع لربه

هذه القيمة التربوية لعلها من أسمى القيم التي تتطلع لها النفس البشرية، وقد بلغها نبي نوح ﷺ بما تذلل به عند ربه، مع تقيده بما يحبه سيده في مقابل كل ما قد تصبو له نفسه البشرية، فنال شرف الوصف منه سبحانه بـ (العبودية)، قال تعالى:{كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ}. (القمر: ٩)

وأظهر لنا ربنا عن هذه القيمة الرائعة التي تميز بها نوح ﷺ، من جوانب متنوعة، ومن ذلك:

---

[١] سيد مرسي، الشخصية السوية – بتصرف، (القاهرة: دار التوفيق النموذجية، ١٩٨٥م)، ط١، ص:١٩٢-١٩٤.

- أنه كان من العبّاد المخلصين، قال تعالى في حقه وغيره: {أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا}. (مريم: ٥٨)
- وكان من العابدين الداعين المبتهلين، يقول تعالى:{وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ * وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ}. (الصافات: ٧٥-٧٦)
- وكان عليه السلام من التوابين، قال تعالى: {رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا}. (نوح: ٢٨)

وغيرها من الصفات الدالة على سمو ذاته بين يدي ربه.

ثانيا: قيمة الصبر

خُلق الصبر يُعدّ من أهم الأخلاق الإسلامية، كما أنه من أصعب الأمور وأشقها على العبد، وقد مدح الله تعالى الصابرين في كتابه بقوله: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٧٧)

وقيمة الصبر قيمة تحلى بها نوح عليه السلام، وظهرت علاماتها في مواضع كثيرة، ومن ذلك:

= أنه عليه السلام مكث في دعوة قومه ألف سنة إلا خمسين عاما، قال تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا}. (العنكبوت: ١٤)

= الصبر على الاتهامات والإساءات، ومن هذه الاتهامات:

- الاتهام بالبشرية استكبارًا: {فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلا بَشَرًا مِثْلَنَا} (هود: ٢٧).
- الاتهام بطلب الرياسة والصدارة: {مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ} (المؤمنون: ٢٤)
- الاتهام بالضلال والجهل والجنون: {قَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ} (الأعراف: ٦٠)، {كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ} (القمر: ٩)
- الاتهام بأن اتباعه فقط من الضعفاء والفقراء دلالة على وضيع أمره: {وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ} (هود: ٢٧).

فما كان من نبي الله نوح إلا الصبر على هذه الاتهامات والافتراءات.

ثالثا: قيمة الزهد

مسلك الزهد أمر مطلوب شرعاً، ولهذا وجهنا ربنا إلى الاعتبار بأن النعيم الدائم والسعادة الباقية هو ما أعده الله لعباده المتقين في الجنة، قال تعالى: {مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (النحل: ٩٦)، والله عز وجل يحثنا على عدم التعلق بالدنيا كأننا مخلدون فيها، خشية نسيان أن هذه الدنيا دار ممر، وتمتع فيها إلى أجلٍ محدود بما يحبه الله، مع تذكر أن ما عند الله خير وأبقى.

ومما يُروى أن نوحا ﷺ بعد هذا العمر الطويل المديد، سئل فقيل له: يَا أَطْوَلَ النَّبِيِّينَ عُمْرًا كَيْفَ وَجَدْتَ الدُّنْيَا وَلَذَّتَهَا؟ قَالَ: «كَرَجُلٍ دَخَلَ بَيْتًا لَهُ بَابَانِ، فَقَامَ فِي وَسَطِ الْبَيْتِ هُنَيَّةً، ثُمَّ خَرَجَ مِنَ الْبَابِ الْآخَرِ».[1]

رابعا: قيمة الاتعاظ من أحوال الأمم المكذبة

حينما أورد ربنا سبحانه ما يتعلق بأحداث قصة نوح مع قومه، ختم تلك القصة بقوله سبحانه: {تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ (٤٩)} (هود) للدلالة على فائدة عظيمة، وهي قضية أخذ العبرة بما وقع لتلك الأمة عندما تمسكوا بالمخالفة لدعوة نبيهم.

مما يدلّ على صحة دعوى الرسل وصدقهم، أن الله عاقب مكذبيهم بعقوبات تستأصلهم وتبيد فاجرهم، ولم يستطيعوا أن يردوا تلك العقوبات عن أنفسهم.

وفي القرآن نجد التذكير المتكرر عن عاقبة الأمم الجاحدة لما عصوا وكذبوا الرسل ولم يتبعوا الحق الذي جاءوا به، قال تعالى: {فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}. العنكبوت: ٤٠)

وفي تنوّع العذاب على الأمم الكافرة عبر وفوائد يلتمسها المتدبر للقرآن الكريم، ومنها:

١ – المعرفة بعظيم قدرة الله، وأن ليس لقدرته سبحانه حدّ.

---

[1] ابن أبي الدنيا، الزهد، (دمشق: دار ابن كثير، دمشق، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م)، ط١، ص:١٦٥، وذم الدنيا، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، (بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م)، ط١، ص:١١٠.

٢ – ملاحظة التنوع في أحوال العذاب، يبعث في نفس المؤمن عظيم الخوف من ربه، ويدعوه ذلك للاستكثار من الدعاء وأيضا العمل الصالح حتى ينجو من عذابه.

٣ – قدر الإنسان عند ربه بمقدار طاعته، وهوانه عليه حينما يعادي ربه بالمعاصي والكفر، فمن كذب الرسل، وخالف أمرهم عليهم السلام، وعبدوا غيره سبحانه، لم يبال الله فيهم، وعاقبهم بما شاءه سبحانه من عقوبة.

المطلب الثاني: القيم التربوية الأخلاقية

الناظر إلى قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يجد فيها سموا أخلاقيا فريدا من جميع جوانبه، وتفردا بكمالات الأدب في حياتهم، ونموذجا راقيا يحتذى به في مجالات الحياة المتنوعة، ومن تلك الأمثلة الأخلاقية التي تربي نفوسنا ما ورد في قصة نبي الله نوح عليه السلام.

أولا: خُلق التواضع

التواضع خلق حميد، يستهوي القلوب، وهو من أخصّ خصال المؤمنين المتّقين، وفيه هدوء وسكينة ووقار واتزان، قال الله تعالى: { فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} (آل عمران: ١٥٩).

ونوح عليه السلام كان من أهل التواضع والرفق واللين، وقد وصفه الله تعالى بذلك في آيات عديدة، قال تعالى في حق قوم نوح:{قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} (هود: ٣٢)، وهذا التعامل الفظ لم يواجهه عليه السلام إلا بكل رفق وتواضع وتلطف معهم في الحوار، وتذكيرهم بالإخوة بينهم، قال تعالى: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ

يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ} (يونس: ٧١)، فنلاحظ هنا أنه أستفتح الخطاب معهم بقوله:{يَاقَوْمِ} لتذكيرهم أنه واحد منهم بالنسب والمعيشة، ويسعى لخيرهم في الدنيا والآخرة، فلم المعاداة له؟

وعندما ظنوا أنه متكبر عليهم بما حباه الله من شرف في النبوة، وقالوا له: {فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ} (هود: ٢٧) لم يرد عليهم إلا بما يشعر أنه هذا فضل من الله يختص به من يشاء، فرد عليهم في نبرة واضحة التواضع: {قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ} (هود: ٢٨)، ونلاحظ أنه يتواضع في خطابه معهم مستعملا كلمة {يَا قَوْمِ} الدالة على تلطيف العبارة معهم، وأنه واحد منهم.

ثانيا: خُلق الشكر

الشكر عبادة من أعظم العبادات التي يتقرب بها الإنسان لربه، ويدخل فيه الصبر والرضا والكثير من العبادات البدنية والقلبية، ولقد أمر الله عز وجل بأن نشكره ولا نكفره فقال تعالى: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ}. (البقرة: ١٥٢)

ووصف الله عز وجل نبيه نوحا عليه السلام فقال تعالى: {ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا} (الإسراء: ٣)، وأوضح الإمام الطبري في بيان السبب الذي لأجله استحق نوحا وصف (الشكور)، فقال: " وقوله (إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا) يعني بقوله تعالى ذكره: "إنه" إن نوحاً، والهاء من ذكر نوح كان عبدا شكورا لله على نعمه.

وقد اختلف أهل التأويل في السبب الذي سماه الله من أجله شكورا، فقال بعضهم: سماه الله بذلك لأنه كان يحمد الله على طعامه إذا طعمه", وأورد رحمه الله الروايات العديدة الدالة على اختيار هذا القول.[١]

ثالثا: الاهتمام بالعلم

رفع الله تعالى شأن العلم وأهله، وبين مكانتهم، ورفعة منزلتهم، فقال سبحانه: {يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} (المجادلة:١١)، فأهل العلم هم الأحياء، وسائر الناس أموات.

وهذا الحث للعلم إنما ليكون سبيلا لوضوح دروب الحق، وأيضا لزيادة التعلق بالله سبحانه، وأنبياء الله ورسله هم أعلم أهل الأرض بما يستحقه الله من توحيد وعبادة، ومنهم نوح عليه السلام كان صاحب علم، يدعو إلى العلم والتعلم، وهذا ما نلحظه بوضوح فيه عليه السلام، إذ أنه أول من استخدم الأسلوب العلمي مع قومه في دعوته، فقال الله تعالى مبينا عن هذا الاستعمال الكريم للإقناع بالحجة العقلية: {يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا} (نوح: ١٣ – ٢٠)، حيث كان يأمرهم بالنظر والتفكر بالآيات الكونية، كل ذلك ليوصلهم إلى القضية المهمة:{مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا}. (نوح: ١٣)

المطلب الثالث: القيم التربوية الدينية

أولا: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

لقد بعث الله، جل وعلا، أنبياءه وأرسل رسله، وحملهم مهمة القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد دلّ قوله تعالى: {وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ

---

[١] أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن المعروف بتفسير الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر، (القاهرة: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م)، ط١، ج:١٧، ص:٣٥٤.

بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} (آل عمران: ٢١)، دلت هذه الآيات الكريمة على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كانا واجبين في الأمم المتقدمة، ويقول ابن تيمية رحمه الله: "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي أنزل به كتبه وأرسل به رسله من الدين".[١]

وهو من أسباب النصر على الأعداء، والتمكين في الأرض، قال تعالى: {وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ} (الحج: ٤٠-٤١).

وقد تحققت في قوم نوح الكثير من المنكرات، ومن هذه المنكرات:

= الكذب والاتهام بالباطل: قال تعالى:{كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ}. (القمر: ٩)

= الجدال بالباطل: قال تعالى: { كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ}. (غافر: ٥)

= الفسق: يقول تعالى: { وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ}. (الذاريات: ٤٦)

= الظلم والطغيان: يقول تعالى: {وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى}.[٢]

= العصيان: يقول تعالى:{قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا}. (نوح: ٢١)

---

[١] ابن تيمية، الحسبة في الإسلام أو وظيفة الحكومة الإسلامية، (القاهرة: المطبعة الحسينية، ١٣٢٣هـ)، ص:٣٦.

[٢] النجم: ٥٢.

= المكر: يقول تعالى: { وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا} (نوح: ٢٢)، أَيْ كَبِيرًا عَظِيمًا، يُقَالُ: كَبِيرٌ وكبار، بالتخفيف، وكبار بالتشديد، شدد للمبالغة، وكلها بِمَعْنًى وَاحِدٍ.[١]

=الضلال والإضلال:يقول تعالى:{وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا}. (نوح: ٢٢)

فوقف نبي الله نوح عليه السلام ناهيا قومه عن تلك الأخلاق الدنيئة، فقال الله تعالى في شأنه: {إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ} (الشعراء: ١٠٦)، وتوعّدهم أنهم إن لم يرتدعوا وإلا سيحل عليهم عذاب من ربهم ونقمة:{فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ}. (هود: ٣٩)

ثم يتحداهم بثقة فيقول: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ} (يونس: ٧١)، قال الإمام البغوي: "أي: اقرأ يا محمد على أهل مكة خبر نوح، إذ قال لقومه، وهم ولد قابيل، يا قوم إن كان كبر عليكم، عظم وثقل عليكم، مقامي طول عمري ومكثي فيكم وتذكيري، ووعظي إياكم بآيات الله، بحججه وبيناته فعزمتم على قتلي وطردي فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم، أي: أحكموا أمركم واعزموا عليه، وشركاءكم، أي: وادعوا شركاءكم أي آلهتكم فاستعينوا بها لتجتمع معكم على ما أردتموه مني ...ثم لا يكن أمركم عليكم غمة، أي: خفيا مبهما، ... ثم

---

[١] الإمام الحسين البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن المعروف بتفسير البغوي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ)، ط١، ج:٥، ص:١٥٧.

اقضوا إلي، أي: أمضوا ما في أنفسكم وافرغوا منه،... وقيل: معناه توجهوا إلي بالقتل والمكروه. وقيل: فاقضوا ما أنتم قاضون".[١]

ثانيا: التوكل على الله

التوكل على الله هو شأن الأنبياء والمرسلين، وهو سر قوة أولياء الله مع من يكذبهم ويعاديهم، وقد ذكر ابن رجب رحمه الله:" وحقيقة التوكل هو صدقُ اعتمادِ القلب على الله عز وجل في استجلابِ المصالحِ ودفعِ المضارِ من أمور الدنيا والآخرة كلها".[٢]

ونبي الله نوح عليه السلام كان متسلحا بسلاح التوكل، داعيا قومه إليه، قال تعالى: {يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ}. (يونس: ٧١)

ولذلك نجد أن نوحا عليه السلام امتثل ما أمره به ربه من صناعة للفلك في أرض لا يتصور وجود السفينة عليها لابتعادها عن البحر، دلالة منه بكل صدق على عظيم توكله على الله سبحانه، قال تعالى: {وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ}. (هود: ٣٨)

ثالثا: عدم أخذ الأجر مقابل الدعوة

---

[١] الإمام الحسين البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن المعروف بتفسير البغوي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ)، ط١، ج:٢، ص:٤٢٨.

[٢] ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، تحقيق شعيب الأرناؤوط – إبراهيم باجس، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م)، ط٧، ج:٢، ص: ٤٩٧.

من القيم الواجب النظر إليها بمزيد اهتمام، قيمة احتساب الأجر الأخروي، وتقديمه على حظ النظر للأجر الدنيوي، فهذا سلوك كان ينتهجه جميع الأنبياء عليهم السلام ومن أقتفى على أثرهم، لأن وظيفة الأنبياء العظمى عليهم السلام هي الدعوة إلى الله، واحتساب الأجر منه سبحانه يوم القيامة، وهذا المسلك القيمي له نتائجه المؤثرة عند قبول أو رفض دعوة الداعي من قبل الناس، لأن المدعو إذا شعر أن الداعية يريد استغلاله، ويحقق من خلاله مكاسب مادية، فإن ذلك سيؤدي إلى النفور منه، والابتعاد عنه، فلذلك نلحظ بكل وضوح زهد الدعاة فيما عند الناس، وهو الذي يدفع المدعوين إلى الثقة بهم.

ومن أمثلة هذا ما ذكره الله عن أنبيائه؛ نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم الصلاة والسلام، كلٌ قال لقومه: {وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ} (الشعراء: ١٠٩)، والمعنى: أننا لا نسألكم شيئاً من أموالكم أجراً على دعوتنا إياكم، من متاع الدنيا، ولكننا رسل ربنا، وأجرنا على ربنا، رب العالمين.

وهذا ما يتعلمه الدعاة تحديدا من قول نبي الله نوح عليه السلام، حيث قال الله في حاله: {وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ} وجاء أيضا التأكيد لهم بأنه لا تتطلع نفسه إلى ما عندهم من مال، فقال تعالى فيه: {وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ} (هود: ٣١).

أهمُ التوصياتِ

بفضل الله ومنته تم إنجاز هذه الرسالة الموجزة الموضحة لبعض الجوانب الرائعة من قصة نبي الله نوح ، في بعض الأمور التي تنفع الدعاة وغيرهم من عموم المسلمين.

وفي الختام أضع بعض التوصيات التي يمكن تبيانها بعد تمام البحث، ومن تلك التوصيات:

١. أهمية دراسة القيم التربوية في القصص القرآني، وتحديدا في كل قصة على حده، وذلك لتنوع البيان في كل قصة من زوايا متنوعة.

٢. وجوب دراسة القيم التربوية الواردة في سور القرآن مثل: النور، الحجرات، الأحزاب، لأن العبرة من قراءة القرآن هو توجيه النفوس إلى صلاح وسعادة في الدنيا والآخرة.

٣. توجيه الباحثين إلى مزيد من دراسة القصص القرآنية من نواحي أخرى: دعوية، جهادية، فكرية، واجتماعية...لتكتمل الصورة من هذه الجوانب بما ينتفع به الداعية والقارئ.

٤. القصص القرآنية تتضمن مناحي رائعة من التوجيه للسلوك البشري، مما لا نجده في الكثير من النظريات النفسية والاجتماعية.

٥. الداعية إلى الله بحاجة دائما إلى النظر في قصص أروع الدعاة وهم الأنبياء والرسل، ليسير على هداهم.

٦. الجوانب الدعوية والقيمية في قصة نبي الله نوح عليه السلام تحتاج إلى مزيد من الدراسات، لأسباب عدة منها.

٧. القصص القرآنية ليست مادة فقط لتسلية النفوس وقضاء وقت معها، لكنها تربية للنفوس وتوجيه وإرشاد.

٨. الحق ليس بكثرة الاتباع إنما هو بقوة ما عنده من الحق، وأن على الناصح الاستمرار في البيان والجدال لبلوغ الحق وإن هجره أقرب الناس إليه، وأن عليه ألا ينقطع عن الدعوة حتى في اللحظات العصيبة، والمواقف التي يظن بعض الدعاة أن لا نفع يرتجى منها

الخاتمة

أحمد الله سبحانه وتعالى أن يسر إتمام هذا البحث.

وأخيراً فإن لدينا نحن المسلمين مبادئ علوم مختلفة، فتراثنا الفكري العظيم – وأول مصادره القرآن الكريم – اشتمل على مفاتيح أكثر العلوم، ولا يحتاج إلا زيادة في النظر ووضع المبادئ ضمن قوالب وقواعد، بل إن بعض ما هو موجود من أصول للعلوم الحديثة غير موجود في أحدث ما صُنّف في هذا المجال، وبدلا من الاستدلال بقول العلماء فيمكن الاستدلال بقول الله ﷻ على أصول علوم كثيرة ، وبدلا من ضرب الأمثلة على أمور تحدث من حياة البشر فيمكن ضرب أروع الأمثلة من القصص القرآني، ففيها نماذج لكل ما هو مطلوب، نماذج للخير والهداية والرشاد، ونماذج للشر والفسوق والعصيان، وآيات الله ﷻ تحتاج إلى مختصين مشمّرين عن ساعد الجد في شتى المجالات: التربوية والنفسانية والاجتماعية والاقتصادية ... لاستخلاص واستنباط قواعد كل علم منها، ثم نشر ما تمّ الوصول إليه – فهو باب من أبواب الدعوة إلى الله ﷻ ودينه.

والله الموفق إلى كل خير وسعادة.

من مراجع البحث

١. القرآن الكريم
٢. إبراهيم ناصر، مقدمة في التربية (عمان: ١٩٧٨م).
٣. ابن أبي الدنيا، الزهد، ذم الدنيا.
٤. ابن تيمية، الحسبة في الإسلام، (القاهرة: المطبعة الحسينية، ١٣٢٣هـ).
٥. ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم.
٦. ابن منظور، لسان العرب.
٧. الدكتور عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة.
٨. عبد الكريم زيدان، السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية.
٩. عبدالكريم زيدان، المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة.
١٠. عبدالكريم علي اليماني، فلسفة القيم التربوية، دار الشروق، الأردن، (٢٠٠٩)
١١. الزرقاني، شرح المواهب.
١٢. سيد مرسي، الشخصية السوية.
١٣. الشيخ صالح بن عبدالله بن حميد، أصول الحوار وآدابه في الإسلام.
١٤. صلاح الخالدي، القصص القرآني-عرض وقائع وتحليل أحداث، (دمشق: دار القلم، ١٩٩٨م)، ط١.
١٥. عبدالرحمن السعدي، المواهب الربانية من الآيات القرآنية، (الدمام: دار رمادي للنشر، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م)، ط٢.
١٦. عزت جرادات وزميليه، مدخل إلى التربية، (عمان: ١٩٨٣م)، ط١.
١٧. عصام الدين علي هلال، التعليم وقيم التنمية، ط١.

١٨. فخر الدين الرازي، تفسير مفاتيح الغيب.
١٩. فوزية دياب، القيم والعادات الاجتماعية، (دار الكتاب العربي، ١٩٦٦م).
٢٠. القزويني، معجم مقاييس اللغة.
٢١. محمد السفاريني، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية.
٢٢. محمد شديد، قيم الحياة في القرآن، ط دار الشعب وغيرهم.
٢٣. محمد علي كامل، الآباء ومشاكل الأبناء في الميزان السيكولوجي بين الفهم والمواجهة، (القاهرة: مكتبة ابن سينا، ٢٠٠٦م)، ط١.
٢٤. المصباح المنير
٢٥. مقداد يلجن، الاتجاه الأخلاقي في الإسلام.